مشيئة الله تعالى انما تجري بسننه في خلقه ، كما يناذلك مراراً ، والسياق هنا جامع للامرين

والقول في هذه الآية تكويني كقوله تعالى بعد ذكر خلق السماء والأرض « فقال لها وللأرض ائتيا طوعا او كرها قالتا أتينا طائعين » وقوله « قلنا يانار كوني بردا وسلاما على ابراهيم » ومنه كلمة التكوين العامة « انما أمره اذا اراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » وتسمية عيسى المسيح كلمة الله ، وقوله تعالى « ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، انهم لهم المنصورون » كل هذا وأمثاله مما يذكر في بيان خلق الاشياء وسنن الله في تكوينها ليس من القول اللفظي ، ولا الكلام النفسي ، وانما هو القول والكلام التكويني الذي هو من متعلقات صفة الارادة والمشيئة التي يتبعها الايجاد والتكوين ، لا متعلقات صفة الكلام التي يكون بها الوحي والتكليف ، فمعنى « حق القول » بما ذكر في الآية أنه مما تعلقت به مشيئة الله تعالى في التكوين ، فانه تعالى شاء ان يكون الناس كما قال في آية قبلها ذوي حواس وعقول متمكنين من الشكر والكفر كما نعرف من أنفسنا وأبناء جنسنا ، وبذلك كانوا مستعدين للاشياء المتقابلة المتضادة مختارين في الترجيح بينها ، ويترتب على ذلك ان يحسن فريق منهم الاختيار فيكونوا من اصحاب الجنة ، ويسيء فريق منهم الاختيار فيكونوا من أهل النار ، وتم كلمة الله في تكوين الفريقين على ماسبق بيانه ، وهذا ينطبق على ماشرحناه في تفسير القدر ، وكونه عبارة عن النظام الالهي والسنن ،

مناظرة عالم مسلم

(لدعاة البروتستانت في بغداد)

تنشر المجلات الدينية التي يصدرها دعاة النصرانية مناظرات خيالية يصورون وقوعها بين بعض المسلمين وبعض النصارى يدعون فيها ان المسلم يذعن لكل مايقوله له النصراني فلا يكون إلا محجوجا في كل مسألة ، ومنها مناظرة رأيتها في هذه الايام منشورة في مجلة الشرق والغرب ادعى فيها النصراني ان القرآن فرض العقاب اي الدنيوي على المرتد والحبس على المرتدة ! واجاز المسلم ذلك وقبله ، وهو لا أصل له ، وها نحن أولاء ننشر لهم مناظرة حقيقية بين عالم مسلم مشهور وهو السيد هبة الدين صاحب مجلة العلم في النجف وبين قسوسهم في بغداد ، وهو الذي اختار نشرها في المنار على نشرها في مجلته لان المنار كما قال اوسع انتشاراً ، وهذا نصها

« بحثنا مع الدعاة البروتستانيين . حفلة انس مع رفقة فضلاء »

قضينا حزيران (يونيو) هذه السنة في مدينة السلام ، تتجول في محافل فضلائها الاعلام، نستفيد من فوائد فوائدهم ، ونستأنس من طيب اخلاقهم وعوائدهم، ومن جملة الاندية العلمية الدينية، أو الحفلات الانسية الوداعية، حفلتان شريفتان اجتمعنا فيهما بالفضلاء المبشرين الفلاسفة الدكاترة دعاة البروتستانية النصرانية المشهورين بطيب الاخلاق والتقدم في الطب العملي ، والروحي الملكوتي ، وهم حضرة القس (بيمي وينسنت بويس) (١) والدكتور الكبير (جولس) (٢) وفضيلة داود افندي البغدادي والدكتور (جورج ويلديل ستانلي) (٣) وكان معنا في المحضر بعض البغداديين وجمع من اجلاء النجف الاشرف من العائلة الجليلة الجواهرية وغيرهم

جرت في ذينك المحفلين الجليلين محاورات ادبية ، وملاطفات وداعية ، انتهت بنا الى محادثة دينية فلسفية ، تتلو خلاصتها لمن أتى سمعه طلبا لتعميم الفائدة وتمحيص الحقيقة ،

تقدس الانجيل

قلت للفاضل داود افندي : ما تلك بيمينك ؟ قال الكتاب المقدس . فقلت ما المقصود من تقدسه ؟ قال انه منزه من كل كذب وخطاء وشبهة . فقلت من جمعه وألفه ؟ قال الحواريون «متى» و«مرقس» و«لوقا» و«يوحنا» فقلت هل كان هؤلاء مقدسين في أنفسهم ؟ قال كلا ليس في العالمين مقدس غير سيدنا المسيح {ع}

فقلت اذا كانوا غير مقدسين عن الخطاء والكذب كيف يصير ما القوه مقدساً عنهما ام كيف يطمئن احد بتقدس مجموعة يحتمل الخطأ والكذب في جامعها ؟

قال ان روح القدس موجود في هؤلاء فيعصمهم ويقدسهم

قلت من اين تعلم بوجوده فيهم ؟ وكيف عرف الناس ذلك وبأي سبب اختصوا بحلول تلك الروح فيهم دون البرية ؟

قال ان روح القدس يملأ كل انسان عموماً ولا خصوصية له بهؤلاء فقط .

قلت حتى الوثنيين والمسلمين وغيرهم ؟

(١) هو من اهالي (لندن) وعمره ٣٩ سنة (٢) هو من اهالي (برتين) الواقعة على البحر دون الباب الجنوبي لمدينة لندرا بمسافة ٥٠ ميلا وعمره ٤٤ سنة (٣) هو ايضاً من اهالي لندن وعمره ٢٥ سنة

قال نعم وهو الذي بهديهم الى الخير ويحذرهم عن الشر

فقلت فتحتاج في ضميري هنا مشكلات «١» انك قد قلت ليس في العالم مقدس غير المسيح {ع} والآن تقول جميع من في الارض مقدس وهذا تناقض في القول

(٢) ان روح القدس (الذي بنيتم على انه يقدس من حل فيه) لو اصبح موجوداً في كل انسان عموماً كما افدت لزم ان تصح كل متناقضين، وتصدق كل امرين متنافيين، لان القائل بكل منهما بشر حل روح القدس فيه فلو اعتقدت التوحيد في الله (ص) وبرهنت عليه وأعتقد غيري الشرك فيه تعالى واستدل عليه وجب ان تصح كلا الاعتقادين وتصدقهما جميعا لان فينا معا الروح القدس {المستوجب لتقدس مظهره} وبديهة العقل كاجماع العقلاء قاضية ببطلان هذه المسئلة

(٣) لو صح وجود روح القدس في كل انسان عموماً لزم من صحة هذه القضية فساد نفسها وكل ما يلزم من وجوده عدمه أو من صحته فساده أو من اثباته نفيه فهو باطل مستحيل، الا ترى انك لو أيقنت بوجود روح القدس في كل انسان وانه يعصم من وجد فيه عن الخطأ لزمك ان تعتقد بانني {المخاطب لك} ايضاً معصوم بحلول روح القدس في باطني، والحالة انني مثلا اعتقد بعدم وجود روح القدس في كل انسان أو انه لا يعصم من حل فيه فيلزمك أن تعتقد بصحة جميع ما أراه ومن جملة ما أراه فساد تلك القضية التي صححتها انت فقتلت القضية نفسها ... (مسرة في الجميع كأنهم استظرفوا هذا الكلام)

ثم قلت (٤) انكم منكم تعتبرون {ولا شك} الصدق والكذب في المحاورات وتقولون هذا كاذب أو مبطل وهذا صادق او محق، وتحرون الملائم والامارات فيهما، فلو كان الناس كلهم مقدسين بروح القدس لم يبق موقع للتحري ولفقدنا اكثر الامور أو خالفتم فطرة الناس وجبلتكم ولكان الاسلام حقاً والقرآن صدقاً،

قال هذه مسئلة فلسفية طويلة

يتبرى الاثلاث، في معنى قولهم «المسيح ابن الله»

تذاكرنا في نسب المسيح (ع) المذكور في الانجيل وفي آخره ابن فلان ابن آدم ابن الله.

فقلت كلمة (ابن الله) ههنا صفة لآدم {ع} أو لعيسى {ع} مع كثرة الفواصل؟

فقال داود اقتدي انما هي صفة آدم {ع}

قلت كيف يكون آدم ابن الله ؟

قال اذ لم يكن له اب جسماني وانما خلق بقدرة الله ومشيئته .

فقلت لم لا تقولون في عيسى (ع) انه ابن الله بهذا المعنى ؟

قال بلى نقول فيه ايضاً بهذا المعنى لا غير

قلت اذن توافقتم مع المسلمين في المعنى واختلفتم في اللفظ اذ المسلمون ايضاً يعتقدون في آدم وفي المسيح انهما مخلوقان من امر الله وبقدرته بلا انتساب منهما الى أب جسماني ويستدلون بما في القرآن العظيم (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب) الخ

نعم اختلفنا من جهة انكم تسمونه (ابن الله) فهذه اللاحظة والمسلمون يتنزهون من هذه الكلمة تقديساً لله تعالى عن شوائب المجسمة ويقولون عيسى روح الله وكلمته فاتفقتم معهم في الجوهر واختلفتم في امر عرضي لا أهمية فيه

أساس الطب التجربة

قال . د . (جونس) هل عندكم في النجف اطباء ؟

قلت نعم كثيرون

قال يحكمون بالطب الجديد ؟

قلت فيهم من اشتغل بالطب الجديد وهو موظف من الحكومة المحلية . ولكن مسلك الاكثر منهم الطب القديم

قال مسلككم مسلك العجائز والبدو يعالجون المرضى بالسكي ونحوه

فقلت أساس الطب وبناءه هو التجربة فاذا جرب الناس علاجاً وعهدوا منه الفائدة العمومية دائما فلا لوم عليهم اذا رجعوا اليه عند مسيس الحاجة

قال ليست التجربة مبنى الطب واساسه بل العلم هو أساس الطب

فقلت التجارب تهدي الناس الى معرفة الضار والنافع والعلم يظهر لهم علة المضرة والمنفعة فالتجربة تقضي مثلا بضرر المحموم اذا اغتسل بماء بارد والفكرة تشتغل بتعليل ذلك فيظهر العلم سره وان برودة الماء تسد مسام البدن ومنافذ الابخرة فتحتبس في الباطن فيتضرر المحموم منه ، فالتجربة اساس الحكم والتعليل ، التجربة طب سطحي والعلم يكسوه فلسفة .. ، التجربة من مبادي حصول العلم ... التجربة تجمع الاشباه والنظائر ، فتمهد السبيل لوصول العلم الى الحكم الكلي ، والناموس العام ،

هل المسيح (ع) واسطة لخلق العالم

قال د . (جونس) في ضمن محادثته (ان الرب هو للمسيح .. كذا ..)

فقلت كيف يكون المسيح (ع) ربا؟

قال لانه خلق الاشياء كلها

قلت فهل كان في نفسه مخلوقاً مع ذلك أم لا ؟

قال نعم كان مخلوقاً من الاب تعالى

قلت كان اذن واسطة في خلق الاشياء بيننا وبين المولى(س)

قال نعم

فقلت لم لم يخلق الله الاشياء بنفسه حتى احتاج الى توسطه ؟

قال لان الله مقدس من كل جهة ، والخلق كلهم غارقون في بحر الخطأ والذنوب، فكيف يتعاطف عليهم الله ويجود عليهم بالوجود من دون واسطة

قلت تصورت من هذا الكلام اشكالات متعددة

ـ ١ ـ كيف غرقوا في بحر الخطايا قبل ان يوجدوا

ـ ٢ ـ ان المسيح ليس بأسخى من الله ولا هو ارأف منه بالعباد حتى يحتاج الناس اليه في عطوفة الله بهم وإفاضته عليهم

ـ ٣ ـ ان تقدس الله لو عد مانعاً من تعلق فيضه بالناس حيث انهم غير مقدسين (من باب عدم المناسبة بين العلة والمعلول) فكيف جاز على المسيح ان يخلق الخلق اذ المانع سواء كان من طرفه (وهو التقدس) أو من طرفنا (وهو عدم التقدس) موجود على كل حال بسبب عدم المناسبة المذكورة أو لتحتاج الى واسطة أخرى بيننا وبينه فيعود الكلام ويتسلسل فالتفت . د . (جونس) الى . د . « جورج ويليديل ستانلي » وتكلما بالانكليزية مدة ثم ساد الجميع سكوت

(الحديث اللطيف)

إني قلت بعد ذلك ان في جمعنا من يقولون ان الواسطة غير منحصرة بحضرة المسيح « ع » أي المقدسون في البرية كثيرون ومنهم « محمد » نبي الاسلام « ص » ويثبت هؤلاء تقدسه بمثل ما تثبتون به التقدس لعيسى « ع » فلماذا لا يجوز ان

يتوسط «محمد» (ص) بيننا وبين المولى (س) في الوجود وفي كل جود ؟

قال متبسما كيف يجوز ذلك وقد خلق محمد بعد المسيح ؟

فقلت وقد جاء عيسى بعد آدم وجمهور الانبياء فكيف جاز ان يتوسط لهم في الخلق ؟

قال توسط المسيح للخلق في عالم الملكوت وجاء بعدهم في عالم الناسوت .

فقلت يقولون في محمد أيضاً مثل ذلك وانه تقدم في الخلق على الكل في عالم الملكوت فتوسط لهم ثم جاء في عالم الناسوت بعد الرسل جميعاً

الشر في الأكل أو في آكله

قال . د . (جونس) يتذاكر الناس ان الشيء الفلاني شر والحالة أن الشر من الانسان المستعمل لذلك الشيء لا من نفس ذلك الشيء . مثلا . من أكل شيئاً فأصابه ضرر منه ، تراه يشتكي من ذلك الشيء مع انه لا شر فيه وانما الشر في نفس الأكل لان الانسان هو صاحب الخطيئة لا غيره

فقلت ههنا جهات لفظية يجب ان تنقسم غيومها حتى لا نختلط الحقائق بسببها

قال وما تلك الجهات ؟

قلت تفرقة الشر عن الضرر الذي تتصف به الادوية والاشياء فان الضرر في العرف امر منتزع من خاصية في الشيء تؤثر اثراً يخالف الصحة كالسم أو يخالف الهيئة الاجتماعية كالحسد والظلم ، و . و . ويقابله النفع وهو أمر منتزع من خاصية في الشيء تؤثر أثرا يوافق الصحة كالماء أو يوافق نظام الاجتماع كالعدل والاحسان و . و .

وأما الشر فقد يستعمل ويراد به الضرر وقد يستعمل ويراد منه انسان فاسد الاخلاق وله استعمالات أخر . واني ما عرفت المقصود منه في كلامكم ولذلك ما بادرت الى الحكم عليه بشيء فهل تقصدون من الشر الضرر أو غيره ؟

قال : الضرر

قلت لا يشك احد في ان الاشياء فيها بأنفسها خواص طبيعية تؤثر من ذاتها ضرراً أو نفعاً ، فالنار محرقة ، والشمس مشرقة ، والسم قتال ، والماء رطب ، والزيت دسم ، فهذه الخواص موجودة لهذه الاشياء سواء أستعملها احد اولا وسواء تعلقت بجماد أو نبات أو حيوان أو انسان صغير او كبير مخطيء أو مقدس

ثم انكم في طبكم ومطبكم تذاكرون على الدوام في خواص الاشياء وتسمون منها ضاراً ومنها نافعاً من دون نظرة الى الانسان المستعمل لها

فقال المقصود من الشر الخطيئة (كأنه استدرك)

قلت نعم اذا كان المراد من الشر الخطيئة، لم يكن في العالم شيء ذو خطيئة من الجماد والنبات والحيوان غير الانسان لان الخطيئة تتوقف على عصيان احكام المولى والعصيان فرع ثبوت احكامه وتكاليفه ولا تكليف الا على الانسان القادر فلا يكون لغيره خطيئة . لكنني أذكر منكم كلاماً قد سبق وهو ان الانسان عموماً مقدس بوجود روح القدس فيه فمن اين تكون له خطيئة ؟ (سكوت ساد الجميع)

« رجعة المهدي ونزول عيسى (ع) »

قال م. د. (جونس) ان الشيعة يعتقدون برجوع المهدي وظهوره وان عيسى (ع) ينزل من السماء ويؤمن به ويصلي خلفه

قلت نعم ولا تختص الشيعة بهذه العقائد فان اكثر المسلمين يعتقدون ذلك ولا يفارقونهم الا في جزئيات وراء ذلك

قال كيف يجوز في العقل رجوعه بعد الف سنة

فقلت مثلكم لا ينبغي أن يسأل هذا السؤال ويطلب تعليل ذلك بالعقل فانكم تعتقدون نزول المسيح (ع) في آخر الزمان بجسده الناسوتي فكيف جاز لديكم ذلك عقلا بعد الفي سنة أو اكثر ؟ قال نعم يجوز ذلك لان المسيح مقدس فلا تؤثر في بدنه عوامل الفساد وغير المقدس لا يكون كذلك

فقلت اسمحوا لي بالاصغاء الى جمل قصيرة

ـ ١ ـ ان الشيعة أيضاً يدعون العصمة والتقدس في المهدي المنتظر ويحسبونه من الائمة الاثني عشر (عج)

ـ ٢ ـ ان التقدس من الخطايا لا يمنع تأثير العوامل الطبيعية في عالم الكون والفساد ، فان الدين والامور الروحية تتعلق بالعوامل الادبية وتهذيب النفس وهي خاضعة للعوامل الطبيعية ، فيموت الانسان وان كان نبياً مقدساً ويمرض ويتعس ويجوع ويعطش ، أفلا تقرأون تاريخ المسيح (ع) وانه كان يصفر لونه من الصيام جوعا وعطشاً ، ويخضر من اكل النبات وغير ذلك واعظم منها انكم تعتقدون قتله بأيدي اليهود بتلك الكيفية الفجيعة ، وتقرأون خبر مقتله (ع) وتبكون على ما اصابه ،

وقد اتخذتم الصليب تذكاراً لواقعته فمن جوزتم عليه هذه الانفعالات الجسمانية ، وان تقدسه لم يمنع هذه التأثيرات الطبيعية فيه ، كيف تقولون بانه باق وسيعود بجسده الناسوتي من دون ان يخضع جسده للفواعل الكونية ؟

« لست أنا الآن في صدد ابطال هذه القضية ، ولكنني اذكرها اقضاءً على ما اسلفتموه »

فتاجيا « جونس » و« جورج ويليديل ستانلي » بالانكليزية طويلا

ثم قلت — ٣ — لو كان تقدس الانسان من الخطأ سبباً لتقدس بدنه عن الفساد وتنزهه من العوامل الطبيعية ، لزم ان لا يتأثر الطفل منها اذ لا خطيئة له ، ولا سيما بعد التعميد الذي يغفر له الخطيئة السارية اليه من آدم (اي على قولهم) مع انا نجد الاطفال أسرع تأثرا بعوامل الفساد

قال ليس الطفل مقدساً لان خطيئة أمه وابيه تسري فيه فيصير خاطئاً

فالتفت اليه حضرة السيد ك . . مهدي جمال الدين الهندي « وهو من علماء النجف الاجلاء » وقال له لو أثرت خطيئة الام في الابن لزم على قولك ان يكون المسيح {ع} أيضاً مخطئاً غير مقدس لان أمه السيدة مريم {ع} ليست عندكم بمقدسة فتسري خطيئتها في ابنها عيسى {ع}

ثم قلت للدكتور (جونس) — ٤ — لو كان تقدس الانسان من الخطايا مانعاً من غلبة النواميس الطبيعية لزم ان لا يفسد شيء من الحيوانات العجم والبهائم لانها لا ترتكب خطيئة ولا تعصي ولا تسري فيها خطيئة آدم (ع) مع انا نراها أخضع لسلطة الطبيعة كونا وفساداً من الانسان : والانسان بقوته العلمية والعملية أقدر على مدافعة المضار من الحيوانات الاخر

قال ان الحيوانات أيضاً في خطيئة لان بعضها يظلم البعض في حوائجه

قلت نفرض حيوانا منفرداً في جزيرة

قال أفيأكل من الاشجار ويقتات النبات أولا ؟

قلت نعم بالضرورة

قال فهو ظالم على النبات وبذلك يصير مخطئاً غير مقدس

قلت أفلم يكن عيسى {ع} يقتات النبات ويأكل مما نأكل مع انه لم يعد ظالما وكان مقدساً بتمام معنى الكلمة ؟

وايضا ماتقولون في النبات ؟ هل يظلم أحداً ويخطىء مع انه يفسد بفواعل الطبيعة ويتغير

قال نعم النبات أيضاً مخطىء

قلت ياسبحان الله ولماذا ؟؟

قال لانه يفيد الحيوان والانسان في المأكل والملبس وغيرهما مع انهما ظالمان خاطئان ومن أفاد خاطئا أو أعان ظالما كان مخطئا غير مقدس

قلت اذن يلزم ان يكون المسيح {ع} مخطئا غير مقدس {والعياذ بالله} لانكم تقولون وتكتبون عنه انه أول من أفاد البشر وآخر من يفيدهم وانه فدى نفسه للناس حتى يغفر الله لهم خطيئاتهم جميعا وتسمونه {الفادي} فهو يفيد {جنس} البشر الظالم الخاطىء أكثر من افادة النبات بما لايقاس ومع ذلك لاتثلمون تقدسه واعظم منه افادة للناس المولى {س} وهو في منتهى القدس

فجعل .د. {جونس} يناجي البقية بالانكليزية مدة ثم سكتوا وسكتنا طويلا وجرت بعد ذلك بيننا مظاهر الالفة والعطوفة وتعرف الجميع مستأنسين مستبشرين وذكرت هؤلاء الذكارة الكرام بالخير والمدح مراراً ، لانهم يبذلون تمام جهدهم في معالجة المرضى والمصابين ولو مجاناً ، ولهم ايادٍ بيضاء في خطتهم ، ولقد شاهدت منهم الاهتمام في أداء وظائفهم وتنبيه الغافلين ، والنصيحة والدعوة الى الديانة المسيحية عند اجتماع المرضى وغيرهم ، حتى انهم كتبوا على جدران المستشفى

« آمن بالرب يسوع ، ينجيك وأهلك من كل سوء »

وقد كانوا دائبين في هذه الوظائف في بغداد منذ سنين طويلة ويباشرون معالجة المرضى بمداواة كاملة . وقد عزموا على شراء جنينة على ضفاف الدجلة بالقرب لبرة عثمانية ، ليجعلوها المستشفى الوحيد في القطر العراقي الآن الحكومة العثمانية (ادام الله استقلالها) ما نزعت حتى الآن الى قبول ذلك فيسر المولى لطلاب الخير كل عسير ، وقابل أهل المعروف بكل جميل ، وهو الهادي الى سواء السبيل

النجف الاشرف بالعراق هبة الدين الشهرستاني صاحب مجلة العلم

(المنار) ليتأمل المنصفون مبالغة المسلمين في التساهل والتسامح فهذا عالم من شرفائهم يثني على دعاة النصرانية ويتمنى لهم النجاح ويدعو لهم به وهو يعلم أنهم لايقصدون من التطبيب الا دعوة المسلمين الى دينهم ، ولكنه لايعلم ان بعض قسوسهم صرح ببعض مقاصدهم فقال ان طريق الشيطان لاينقطع الا اذا زال الاسلام من جزيرة العرب !!

المسألة الشرقية

(٦)

﴿ بعض مايجب من العبرة في الحالة الحاضرة ﴾

قد أتى علينا حين من الدهر ونحن في غمة من أمرنا ، وأوربة تتصرف فينا كما يتصرف الاوصياء الخونة في كفالة المتوهين والقاصرين عن درجة الرشد، لاهم لهم الا ابقاء الحجر عليهم، ليتمتعوا بأموالهم وما ورثوا من آبائهم وأجدادهم

فتنت أوربة ملوكنا وأمراءنا بجميع فتن السياسة، وزينت لهم تقليدها في زخرف مدنيتها ، وأوهمتهم انها تهديهم الى سبيل الرشاد التي يصلون بسلوكها الى ماوصلت هي اليه من المدنية الجميلة التي تدهش الابصار وتفتن الالباب، حتى سلبت ممالكهم، وثلت عروشهم ، فمنهم من ذهب من ساطانه العين والاثر ، ومنهم من بقي له الاسم والرسم، دون التصرف والحكم ، ولم يعتبر اللاحق منهم بما حل بالسابق ، وأنى لهم العبرة وهم بين قاصر العقل ، وفاقد الرشد ، وقد عمهم كلهم الجهل ، وحيل بينهم وبين مايجب عليهم من العلم

فتنت أوربة ملوكنا وأمراءنا ، ولم تقصر في فتنة شعوبنا، فقدها جمتنا بجنود من القسوس والمعلمين، والتجار والسماسرة والمرابين ، والبغايا (المومسات) والقوادين والقوادات ، وأصحاب الملاهي والحانات ، فخاربتنا في عقائدنا الدينية ، وفي مقوماتنا ومشخصاتنا الملية ، وفي آدابنا وعاداتنا القومية ، وفي رزقنا وثروتنا العمومية ، تريد بهذا كله الفتح والاستعمار باسم المدنية

راجت في سوقنا كل هذه الفتن ، فحلت روابطنا ، وأضعفت جامعتنا ، ومزقت نسيج وحدتنا ،واغتالت معظم ثروتنا ، ونحن نتوهم أننا نرقي بذلك أنفسنا ،ويظن الذين تفرنجوا منا أنهم صاروا أرقى من سائرنا عقولا ، وأعلى آدابا ، وأصلح أعمالا، حتى ان بعض أحداث المدارس منهم يرون أنفسهم بتأثير فتنة التفرنج أنهم أرقى من سلفنا الصالح الذين فتحوا الممالك وعمروا الامصار، ودونوا العلوم ، وبنوا لنا ذلك المجد الذي ساعدنا اعداءنا على هدمه منذ قرون ولما ينهدم كله ، ألا أننا قوم جاهلون

مخدوعون ، تخرّب بيوتنا بأيدينا ، وأيدي اولئك الفاتحين المخادعين لنا ، ولا ندري ماذا نفعل

كان سفراء أوربا ووكلاؤها ، وقسوسها وعلماؤها ، وتجارها وموسماتها ، هم القواد الفاتحين ، والملوك الساتدين ، الذين ما دخلوا قرية من ممالكنا الا أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون ، ومن عجائب جهلنا وغفلتنا ، أن أمرنا معهم لا يزال غمة علينا ، ولا نزال نرجو الخير منهم ، والرقي بتعلم لغاتهم ، واتباع عاداتهم ،

ماصخت العبر آذاننا ، وخطفت أبصارنا ، وقرعت أذهاننا ، كما فعلت في هذا العام الذي تواطأت فيه أوربة على مرأى منا ومسمع متفقة على ابتلاع الممالك الثلاث التي كانت باقية لنا ، وهي الدولة المغربية والدولة الايرانية والدولة العثمانية

بدأت أوربة بالجناحين « ايران ومراكش » فلم نر في المجموع الاسلامي شعور ألم يذكر ، ولا حركة دفاع تخشى ، فتجرأت على القلب . واذا جاز أن يعيش من قطعت أطرافه كما فعلت أوربة بجسم ملكنا ، فهل يجوز أن يعيش الجسم بغير قلب ؟ فمتى نفيق ؟ ومتى نشعر ؟

وصل البغي والعدوان علينا الى هذه الدرجة ولم تزل الغشاوة كلها عن أبصارنا ، ولا الرين عن قلوبنا ، ولا يزال في آذاننا وقر ، وبيننا وبين الحقيقة حجاب ، ولا تزال أوربة تنظر الينا نظر الوصي القوي المنة الشديد الطمع الى الغلام السفيه ، وهي ترجو أن لا تحصل في الاجهاز علينا كبير عناء ببركة اتحادها وتخاذلنا ، وحزمها وتواكلنا ، ثم خلابة من ربت لنا من تلاميذها الذين يزينون لنا ان مدنيتنا لا تحقق الا بتقطيع أوصال جامعتنا الملية الاولى ، وصيرورة كل عضو منا جسدا كاملا باستقلال كل قطر من أقطارنا بجنسية جديدة ، وبراءته من سائر الاقطار ، ارضاء لاوربة التي أرشدتنا الى هذه الحياة الجديدة وحببتها الى تلاميذها منا ، وبغضت اليهم رابطتنا الملية الاولى لانها من التعصب المذموم في عرف مدنيتها الشريفة المبنية بزعمها على حب الانسانية وارادة الخير لجميع البشر (؟؟)

أفيقوا أفيقوا أيها المساكين المخدوعون ، وانظروا الى ماتفعل أوربة بكم ، إنها ما قطعتكم أفلاذا لتعدن كل واحدة منكم على حدتها حبا في الانسانية ، وانما قطعتكم كما تقطع الحمل المشوي لتأكله لقمة بعد لقمة . لستم بأعلم بحب هؤلاء القوم للانسانية من فيلسوفهم الاكبر ، الحكيم هربرت سبنسر ، الذي نصح لليابانيين بأن لا يحدوا بقومه الانكليز ، ولا يجعلوا لهم موطئا في بلادهم لئلا يفسدوا عليهم أمرهم ، ويلتهموا ثروتهم ،

ويزيلوا ملكهم من الارض ، أو يجعلوه أثرا بعد عين ، ليس لهم منه الا الاسم ،

اعلموا أن أمر أوربة كله في أيدي رجال السياسة ورجال المال ، وهؤلاء كلهم من أصحاب الاثرة والبغي ، لا يعرفون الحق الا للقوة القاهرة ، وكل ما يتشدقون به من ألفاظ الانسانية والمدنية والحق والعدل والقانون وما يشاكل هذه الكلمات فهو من خدعة الحرب وغش التجارة ، ومن يوجد في أوربة من أهل الفضيلة ومحبي الحق والعدل مخدوعون مثلكم بأكاذيب السياسيين والماليين ، ودعاة الدين ، الذين ينفرونهم من الشرق والشرقيين ، والاسلام والمسلمين ، فرجاؤنا في استقلالهم ان ينفعنا قليل ، ليس عليه تعويل .

لماذا تقوم قيامة الشعوب الاوربية كلها اذا حارب العثمانيون حكومة من حكومات البلقان المسيحية ، أو حاولوا اخماد ثورة كتلك الثورة الارمنية ؟ لماذا تستنفر تلك الشعوب حكوماتها على دولتنا ، وتساعدها بالمال والتطوع لمحاربتنا ؟ ولماذا نراها وادعة ساكنة وقد بغت ايطالية واعتدت علينا ، وتنظر بين الرضا والارتياح الى استيلائها وهو يعطر على ولاية من ولاياتنا قذائفة الجهنمية ؟ وهذا مع اجماعها على بغي ايطالية واحتقارها للقوانين ونكثها للعهود الدولية « هذا وما كيف لو » — هذا وما جاءت ايطالية بشبهة من الشبه التي اعتادت أوربة أن تدلي بها الى شعوبها ، ليوافقوها على الاعتداء علينا ، كانقاذ المسيحيين من تعصب المسلمين ، أو منع الثورات ، وتأييد عروش الحكومات ، فكيف كان يكون تأييدهم لها لو جاءت بمثل ذلك

الا ان الخطب كبير ، والبلاء عظيم ، وكل ما ظهر من تأثيره فينا ، فهو قليل بالنسبة الى ما يراد به منا ، ماذا عملنا ، جمعنا شيئاً من الاعانة بمصر لانقاذ جيراننا واخواننا أهل طرابلس من براثن الموت مصابرة أو صبرا ، ولكن لما يبلغ ما دفعه العشرات والمئين من امرائنا وسرواتنا ومثرينا نصف ما دفعه غني واحد من اغنيائنا الذين أفسدهم التفرنج في هذه السنة وحدها لمقامري أوربة ومومساتها ؟ ان الجرائد الاوربية التي تصدر غدا تنفرنا من اعانة دولتنا والعطف عليها وتظهر أنها قد استكبرت منا ما تصدينا له ، وهي انما تسخر منا وتستصغر ما تظهر انها تستكبره ، وتعرف حقيقة ما تظهر انها تستنكره ، وترى كدولها أننا نعمل عمل الصغار ، فهي كدولها تعبث بنا كما يعبث الرجال بالاطفال ، « فاعتبروا يا أولي الابصار »

ان الامة التي تعرف قيمة الحياة هي التي تحتقر الحياة والمال ، في سبيل الشرف والاستقلال ، فيجب أن تعرف أوربة منا في مثل هذه الحال أننا أمة واحدة ،

وأننا لا نحمل الضغط الا الى درجة معينة ، وانها اذا تجاوزت بنا تلك الدرجة فلا تأمن الا الانفجار ، الذي لا يعلم عاقبته الا الله الواحد القهار ، فلتربع على ظلمها ، ولتقف عند هذا الحد في ظلمها ، واذا لم تكف عنا يد دولة الفوضويين والانصوص فلتتركنا وشأننا معها ، ولا تعارضنا فيما نفعله في بلادنا من ارسال المدد والذخيرة من مصر وعن طريق مصر الى طرابلس الغرب ، ومن معاملة الطليان في بلادنا ، بما يجوز لكل أمة وحكومة منهم أن تفعله في بلادها ، أما اذا كانت ألمانية تمنعنا من مقاطعتهم أو اخراجهم من ديارنا ، واكاثرة تمنعنا من ارسال الرجال والذخائر من مصر ، فلا تكون ايطالية وحدها هي المحاربة لنا ، وانما محاربنا أوربة بأسرها ، وهل لنا ذنب يقتضي كل هذا الا ديننا ؟ فأين التعصب ومن هم المتعصبون ؟ ألا تعتبرون أيها الغافلون ؟

أظهرت ايطالية من الجبن شجاعة ، ومن العجز قوة ، ونفت وتكبرت في انذارها لدولتنا ، وانما جرأها على ذلك علمها بأن دول أوربة الكبرى كلها معها ، واعتقادها انها تنصرها أولا وآخرا عملا بقاعدة « ما أخذه الصليب من الهلال لا يعود الى الهلال ، وما أخذه الهلال من الصليب ، يجب أن يعود الى الصليب »

ولاجل هذه القاعدة قالت انها لا تقبل مناقشة ولا مذاكرة في مسألة طرابلس الا بعد احتلال عسكرها فيها ؟ ونتيجة القياس المنطقي الذي يتألف من هذه القاعدة ومن استحلال أوربة واقدامها على مثل هذا التعدي انه يجب أن لا يبقى للهلال ملك في الارض

ان ايطالية لم تحتقرنا بجمع قوتها البحرية والبرية وهجومها بها على طرابلس العزلاء الخالية من الحامية والاستعداد ، بل احتقرت نفسها والدول المساعدة لها ، وأقامت الحجة على أنه لا قيمة للحق ولا للفضيلة ولا للانسانية عندها ، وانما تحتقرنا هي وحليفتها ألمانية بمساومتنا في بيع شرفنا وديننا بثمن بخس تعرضه على دولتنا ، لتقر ايطالية الباغية على بغيها ، وتجعل طرابلس ملكا شرعيا لها ، ولعل عاهل ألمانية صديق السلطان والدولة والمسلمين (؟؟) لا يجهل ان نصيحته هذه تكون أشأم على الدولة من زيارته لطنجة واظهاره الميل والمساعدة لسلطان مراكش ، لعله يعلم ان العمل بنصيحته يسخط العالم الاسلامي كله على (صديقه) الدولة ويثير عليها رعيتها ، واذا ترتب على ذلك (لا سمح الله ان يكون) هلاكها تكتفي أوربة أمرها ، وتسلم من تبعتها أمام العالم الاسلامي

ألا فيعلم الامبراطور العظيم ، وحليفه الملك المعظم ، ان الدولة العثمانية ليست الآن

في يد عبد الحميد فينالا منه ما أراد ، ولا بد تلك الزعنفة التي خدعتهم المانية بمكر يهودها الصهيونيين ، وانما أمرها الى مجلس كبير لا يبيع دينه وشرفه بمال اليهود ولا يخدع بمكرهم ، وقد انكشف له الستار عن كنه صداقة ألمانية لنا التي جرت علينا كل هذا البلاء ، فان استطاع مجلسنا أن يؤلف وزارة تقدر أن تقنع انكلترة وصديقتيها بذلك ويكف بغي دول التحالف الثلاثي عنا فذاك ما نحب من السلم والحق ، والا فالرأي ما بينا من قبل ، ورأينا كل من نعرف من المسلمين متفقين معنا عليه ، وهو أن نحب الموت في سبيل حفظ ما هو لنا ، أكثر مما يحبه غيرنا في سلب ما ليس له ، وحينئذ اما نبقي أصحاب دولة وشرف ، واما أن نموت كما يموت الكرام ، بعد ان نميت أضعافنا من أعدائنا البغاة

ايها المبعوثون المخلصون إنكم تعلمون ان بيع طرابلس بيع للدولة كلها وقضاء عليها ، فاذا عجزتم عن انقاذها ولم تجدوا من أوربة مساعدا فاعلموا انه ليس بعد اليوم كوفة ، فادفعونا الى عمل اليائس من الحياة ووزعوا كل ما عند الدولة من السلاح علينا ، واطردوا جميع أعدائنا من بلادنا ، وتعرضوا لجبر أوربة كلها بمحاربتنا ، فذلك أشرف لنا من اسرارها لذلك ، وربما كان خيرا وأبقى

٢٣ شوال

(٧)

﴿ اماني ايطالية وظنونها في مسألة طرابلس الغرب ﴾

صرح علماء الحرب الذين عرفوا طرابلس الغرب من ألمانيين وغيرهم انه ليس في استطاعة ايطالية ان تجاوز سواحلها وتتوغل في داخليتها بالقوة العسكرية لاسباب متعددة (منها) شجاعة عرب هذه الولاية الخارقة للعادة وتصديهم للحرب والكفاح من سن البلوغ الى سن الشيخوخة مع وفرة السلاح عندهم وتمرنهم على استعماله وبراعتهم فيه ، وكراهتهم لسلطة الاجنبي المخالف لهم في الدين والجنس والعادات واللغة

(ومنها) ان العسكر الاوربي اذا تجاوز الساحل دخل في صحاري رملية وعناء يعوزه فيها الماء ، وماء الآبار قليلة ماؤها خمجرير (ثقيل) ، لا يعرف مواقعها الا الوطني المخرّيت . وقد يطلعونها ويطمسون معالمها فلا يهتدي اليها غيرهم ، على ان ماءها يؤذي الاوربي ولا يؤذيهم

(ومنها) قلة الزاد فليس هناك أسواق ولا اهراء يأخذ منها الجند الاوربي

ما اعتاد التغذي به من الخبز والبطاطس والحبوب والخضر واللحم والخمر. وأما العربي الوطني فهو يكتفي من الزاد في يومه بكسرة من الخبز، او قبضة من الشعير أو التمر. ويحارب على ذلك طول العمر.

(ومنها) ان عرب البلاد يستمدون ممن وراءهم من البلاد السودانية وكلها اسلامية تمدهم وتساعدهم على جهاد عدوهم الذي فرض الله عليهم قتاله بعد تعديه عليهم، ولا سيما اذا استنجدهم السنوسيون وعرفوهم ان الجهاد يكون فرض عين على كل مسلم ومسلمة اذا دخل الكفار بلاد المسلمين محاربين فاتحين

ولا يعقل ان تجهل ايطالية من حالة هذه البلاد ما عرفه الالمان والانكليز فانها منذ عشرات السنين تعهد السبيل لامتلاكها، وفيها كثير من تجارها وعلمائها، وكم أرسلت اليها من الضباط للوقوف على شؤونها الحربية، فلماذا أقدمت الان على فعلتها الشنعاء، بهذه الصورة الشوهاء؟ أفلم تحسب لتلك الاسباب حسابا، أم ترضى من الغنيمة باحتلال السواحل وجعل الاسطول امامها يحميها الى ماشاء الله، أم لها في ذلك رأي آخر رازه ساستها، واعتمد عليه قادتها؟

اقوال حكومة ايطالية وجرائدها تدل على انها تعتقد أن أهالي طرابلس لا يحاربونها حربا ذات بال يخشى ان يطول أمرها، ويتفاقم شرها، وقد استنبطنا من هذه الاقوال ومما نعرف من سعيها ودسائسها في طرابلس انها تبني اعتقادها هذا على عدة دعائم

(١) ما بذلته من المال والدسائس لاستمالة شيوخ العرب وزعمائهم اليها وتنفيرهم من الترك، ولاستمالة الشيخ السيد السنوسي واقناعه بان ايطالية محبة له وللاسلام والمسلمين!! وقد اتعبتها الوسائل حتى استطاعت ارسال هدية الى الشيخ السنوسي واقنعته بقبولها بسعي أحد التجار المسلمين بمصر بعد ما أخفق سعي جاسوس وكالتها السياسية هنا في ذلك

ونحن نرى ان هذه الدعامة متداعية لا تمسك هذا البناء، فهدية ملك ايطالية الى الشيخ السنوسي لم تفد ذلك الملك أدنى ميل من السنوسي اليه ولا الى دولته، وكل ما بذل لشائخ العربان يمكن ان يهدم بكلمة واحدة تلقى اليهم وتذاع بينهم، وهي ان هؤلاء الايطاليين يريدون ازالة حكم القرآن من هذه البلاد واخضاع المسلمين لاحكامهم وازالة سلطانهم، والتمهيد بذلك لاذلال دولة الخلافة ومحوها من الارض،

(٢) مخادعة العرب وغشهم بايهامهم انها تريد أن تجعل حكمهم لشيوخهم وزعمائهم تحت حمايتها وانها تحترم شعائر دينهم وتمكنهم من اقامته والعمل به كما يشاؤن، وقد

اوصت الحكومة الايطالية جيشها الذي أرسلته لاحتلال هذه البلاد بأن يحترم المساجد وكل ما هو ديني وان يبلغوا مشايخ العرب وسائر الاهالي نحو ما شرحناه من الخداع، ويقيس الايطاليون مسلمي طرابلس على غيرها من المسلمين الذين خدعوا من قبل بمثل هذه الوعود حتى اذا تمكن نفوذ الاجنبي فيهم هدم اكثر مساجدهم ، واغتصب جميع أوقافهم ، ومنعهم من تعلم أحكام دينهم، وانما يأذن ببعضها دون بعض وضيق عليهم الخناق لاجل أن يتركوا أحكامهم في النكاح والطلاق والميراث ، وبث فيهم دعاة دينه يفترون على الاسلام وينفرون عنه ، هذا ولا يجعل لاحد منهم أدنى سلطة في حكومة بلاده ، وشبهته ان هذه حكومة مدنية وان المسلمين جاهلون متوحشون لا يصلحون لادارة الاحكام واقامة العدل فيها ما داموا كذلك

وهذه الدعامة أوهى من تلك فان في طرابلس على غلبة الجهل عليها كثيرا من العلماء ومشايخ السنوسيين يعرفون حقيقة ما عليه كثير من اخوانهم المسلمين الذين سقطوا تحت سلطة الدول الاوربية التي هي أقرب الى الحرية والعلم والمدنية والشرف من ايطالية الناكرة الغادرة الجاهرة بالبغي عليهم وعلى دولتهم ، وما هم عليه من الذل والفقر والجهل والحرمان من الحرية والمدنية ، ويعلمون ان تلك الدول لم تقف لهم عهدا ، ولم تصدقهم وعدا ، وانها لا ترقبهم، ولا تمكنهم من ترقية أنفسهم ، وقد يوجد الآن من يلفهم أن البلاغ المبين الذي تدخره ايطالية لهم،هو اضعاف ما يشكومنه غيرهم من المسلمين الذين يعرفون أخبارهم، وغيرهم ممن لا يكادون يعرفون عنهم شيئاً ، وأين المدينة التي أقامت أركانها ايطالية في الاريتره ؟ وكيف واكثر بلادها الجنوبية نفسها في قارة أوربة (المقدسة) محرومة من المدنية والعمران ، يفر أهلها منها الى اميركة وغيرها من البلاد كما يفر المنوسوس من الارض الموبوءة ،

(٣) بثها في هذه الولاية وسوسة الجنسية العربية والتنفير من الترك بأنهم أهل ظلم وجور يبغضون العرب ولا يعرفون لهم حقهم ولا مايوجبه الاسلام لهم . وقد كادت تقوى هذه الفتنة في طرابلس الغرب وفي غيرها من البلاد بسوء ذكرى الحكام المستبدين في العصر الماضي وبما ذاع من أمر السياسة الجنسية السوءى التي بها عرف زعماء جمعية الاتحاد والترقي في الثلاث السنين الماضية ، وحذرناهم من سوء عاقبتها، وانذرناهم خطر مغبتها ، فباروا بالنذر وأقدموا على ما أقدموا عليه من الاقوال والاعمال

السياسية والحربية، وهذه التفرقة الجنسية بين المسلمين وتقطعهم أمما مختلفة في الوطن أو اللغة هي أقتل آلات الفتك التي حاربتهم بها أوربة باعانة تلاميذها المتفرنجين الذين لا يزالون يبالغون مالا يبالغ الافرنج في التنفير من الرابطة الاسلامية والجامعة الدينية

كنت أخشى أن تكون هذه الدعامة أقوى الدعائم التي تمهد لأوربة تقطيع أوصال الدولة العلية وجعل كل اقليم من مملكتها يذهب فيه جنس من الاجناس مملكة مستقلة بالاسم تحت حماية دولة أوروبية قوية لا يمتنع تحت حمايتها من سلطة بلاده الا بالاسم فقط . كنت أخشى هذا وهو الذي كان يمكن لايطالية فيه أن تزيل سلطة الدولة العلية من طرابلس بمؤونة أهل طرابلس أنفسهم . ولكنني أحمد الله أن استعجلت أوربة باستيفاء جميع غلة هذه الشجرة الخبيثة الملعونة في القرآن (شجرة عصبية الجنسية) فكانت ايطالية هي السبب في اجتثاثها من طرابلس قبل رسوخ جذورها فيها .

نزعة الجنسية الشيطانية لم تنتشر كثيراً في طرابلس لانه قلما يوجد فيها من قر أجريدة عبيدالله التي سماها (العرب) وجريدة (طنين) وأمثالهما فلا تزال الرابطة الاسلامية هي الحاكمة على قلوبهم . وما وصل اليهم من جواسيس ايطالية ضعيف. ويوجد فيهم من يرشدهم الى أن الترك اخوتهم في الاسلام، وان كل الظلم الذي عرفوه منهم سببه الجهل بأحكام الدين وبالمصلحة العامة ، وأنهم كانوا يظلمون في بلادهم كما يظلمون في البلاد العربية ونحوها، وان الدولة دخلت الآن في طور جديد يرجى أن يصلح به حال الجميع، ولكن أعداءها وأعداء الاسلام يريدون أن يقضوا عليها قبل اصلاح شأنها لانهم يكرهون صلاح الشرقيين عامة والمسلمين خاصة ، ويريدون أن يظلوا ضعفاء فقراء ليكونوا خدما بل عبيداً لاوربة

إن ايطالية لم تجتث شجرة عصبية الجنسية من طرابلس الغرب فقط بل هي قد زعزعت هذه الشجرة الخبيثة في سائر البلاد الاسلامية بهذه البغي والطغيان، وتبع ذلك رسوخ شجرة الرابطة الاسلامية الطيبة وتشعب أفنانها في مصر وتونس والجزائر واليمن وسورية والاناطول والارنؤط وبلاد التتار وايران والهند . كان يقول القائل ويكتب الكاتب في الجنسية المصرية وانفصالها من الجنسية التركية أو العثمانية واستقلال أهلها دون اخوانهم العثمانيين وغيرهم وتفضيل القبط عليهم فلا يلقى الا التحيف والتصفيق ، فتبه هذا العدوان الذي أصفقت عليه أوروبة مسلمي مصر الى أنهم مسلمون قبل كل شيء ، فمن عرض الآن بصرف المصري عن الاتحاد بالعثماني

وساعدته بماله ونفسه ، وعن اعتقاد كون مصلحته بين مصلحته ، وحياته مرتبطة بحياته ، لا يلقى الا الذل والتحقير ، من الكبير والصغير ، الا أفراد من غلاة التفرنج أو من المنافقين

تبين بهذا فساد ما كانت تظنه ايطالية — من أن عرب طرابلس لا يقاتلونها قتالا شديداً يعارل أمره — بضعف الدعائم التي بنته عليها ، وكانت ترى أن الامر ينحصر في مقاومة الجند النظامي ، وقد مهدت السبيل الى جعل هذه المقاومة لا تأثير لها باستعمال حقي باشا وغيره من أنصاره كما تستعمل الآلات التي تمهد بها الطرق التي تمشي عليها ، أولئك الانصار الذين يبخلون بالمال أن ينفق على مثل طرابلس لحمايتها أو لترقيتها ، ولكنهم لا يبخلون به أن ينفق على محاربة الدولة لأبنائها واخوتها كما فعلوا في اليمن وغيرها لغير سبب موجب ولغير نتيجة صالحة

أهمل قصيدة طرابلس وفرق شمل الألايات الحميدية الاهلية التي كانت مرابطة فيها ، ولم يوضع فيها من الجند الا ما قد يحتاج اليه لاجل تحصيل العشور والضرائب وحفظ هيبة الحكومة في نفوس الاهالي ، وما كان هذا وحده هو الذي أطمع ايطالية وجرأها على مهاجمة البلاد وانزال عساكرها فيها ، وانذار الدولة صاحبة البلاد بأنها تريد ضمها الى املاكها ، وطلب إقرارها اياها على ذلك بالتهديد والوعيد

نعم ما كان المجري على ايطالية على فعلها هو خلو البلاد من الحصون المنيعة والطامية الكافية ، ولا الظن بأن مدافعة العرب لا تكون شديدة طويلة ، ولا مشابهة أوروبة لها في الباطن ، فأن أوربة وان سكتت لها على عملها ولم تعارضها فيه ، لا يمكن أن تعترف لها به رسمياً ، وتعدها به صاحبة البلاد الشرعية ، اذ لا يعقل أن تضغط جميع الدول الكبرى أمام شعوبها الحق بصفة رسمية الى هذه الدركة السافلة ، وفرق عظيم بين السكوت للمبطل على باطله ، وبين الاجماع على تسمية باطله حقاً بالتصريح الرسمي . واذا لم تعترف الدول لها باحتلالها لتلك البلاد بمثل هذا البغي والعدوان يكون للدولة صاحبة البلاد الرسمية أن تطالب بحقها بالقوة الحربية أو بغيرها في كل وقت ، وتكون الباخرة في موكز حرج في جميع تصرفاتها

ايطالية تعلم هذا وتعلم انه اذا تيسر لها احتلال ما وراء الثغور البحرية من البلاد في زمن قريب أو بعيد بعد خسارة كبيرة أو صغيرة فانه لا يتيسر لها أن تسوسها وتدير شؤونها وتكون آمنة مطمئنة فيها تأتيها المكاسب رغدا من كل مكان — وهي ليس لها صفة رسمية فيها — تلك أمنية لا ينالها الغاصب لأرض يعلم هو وأهله وجيرانه

والعاملون في الارض وجميع من يريد معاملتهم فيها انه غاصب ناهب ، وان تصرفاته غير شرعية ، ويخشى في كل وقت أن تعصف ريح الحق فتزلزله أو تزيله منها ، فماذا أعدت ايطالية لذلك ؟ وماهي الوسيلة التي تتوسل بها لحمل الدولة العلية على اقرارها على عملها وجعل مقامها في طرابلس جائزا في قانون حقوق الدول ؟ ولا تكون اللقمة سائغة هنيئة بل لايسهل ازدرادها بدون ذلك ؟

يمكننا أن نستنبط جواب هذا السؤال العويص من فحوى الاقوال ، ومن قرائن الاحوال ، ومن الوقوف على بعض مخبآت السياسة ، ومذاهب الزعماء وأهل الرياسة ، وهو أن ايطالية ترى انها اذا احتلت طرابلس بالفعل فان حمل الدولة العثمانية على اقرارها على الاحتلال أمر يسير غير عسير لاربعة أسباب (أحدها) علمها بأنه لا يمكنها اخراجها بالقوة لضعف أسطولها ومنع انكلترة لها من ارسال جندها بطريق مصر (ثانيها) علمها بأن أوربة لا تكره ايطالية على الخروج عملا بقاعدة « ما أخذه الصايب من الهلال لا يعود الى الهلال » (ثالثها) ان بعض اصحاب النفوذ من المتفرنجين العثمانيين يرون مثل هذا الولاية من الاطراف البعيدة عن كرسي السلطنة لا تستحق أن ينفق عليها شيء من المال لاجل حمايتها أو ترقيتها ، وأنه اذا أمكن الاستعاضة عنها بمال ينفق في العاصمة وما يليها يكون أولى ، وان بيع طرابلس الغرب اسهل وأولى من بيع البوسنة والهرسك (رابعها) مساعدة الحزب الالماني في الدولة على ذلك . ونفوذ هذا الحزب في جمعية الاتحاد والترقي وفي ضباط الجيش العثماني عظيم ومن رجاله المؤثرين دهاقين اليهودية في سلانيك والاستانة وأبناء عمهم من الصابئين . هذه هي آراء ايطالية أو أمانيها

أما الصورة التي رسمتها بارشاد حليفتها ألمانية لتنفيذ ذلك فهي — على ما ظهر لنا — أن ايطالية تدعي بعد احتلال طرابلس انها تريد جعلها ملكا خالصا لها ، وتعذر الدولة العثمانية بطشتها الكبرى اذ لم تقرها على ذلك ، بأن تأذن لاسطولها بضرب ما شاء من موانيها وحزرها واحتلال ما شاء منها ، فعند ذلك تبدي ألمانية للصلح باسم الصداقة والمحبة الخالصة لهذه الدولة ولجميع العثمانيين والمسلمين لاجلها كما قيل « لاجل عين ألف عين تكرم » وتخدمها كما خدمتها في مسألة بيع البوسنة لحليفتها الاخرى (النمسة) فتأخذ لها مبلغا من المال وتحمل ايطالية على الاعتراف بسيادة السلطان الاسمية على طرابلس

نعم تذيع ايطالية أنها لا ترضى بأن يبقى للسيادة العثمانية هنالك اسم ولا رسم

وهذا تمويه تمهد به السبيل لارضاء العثمانيين باسم السيادة ليقال إن ايطالية تنازلت عن بعض مطالبها في الصلح اكراما لحليفتها (المانية) وحباً في السلام !! لانهم مع كل هذا العدوان والطغيان لا يستحيون من ادعاء حب السلام وكراهة الحرب

ربما يكون قد بدا لايطالية ما لم تكن تحتسب في هذه الاسباب الاربعة ، كما بدا لها مالم تكن تحتسب في تلك الدعائم الثلاث ، فخاب من ظنها في الترك مثل ما خاب ظنها في العرب ، وربما كان اعتمادها الظاهر على نفوذ المانية في الدولة هو الذي يزلزل هذا النفوذ منها أو يضعفه في اليم نسبيا ، ولم يبق في هذه المقالة مجال للاطالة في هذه المسألة ، ولكن لا بد من ختمها ببيان كون ايطالية لا تريد أن تزيل اسم السيادة العثمانية كما تزيل جميع رسومها ولاسيما اذا كان بغير اقرار الدولة العثمانية ورضاها:

تعلمت أوروبة من انكلترة داهية الاستعمار وفيلسوفته ان حكم الشعوب ولاسيما الاسلامية منها باسم الحماية أو الاحتلال المؤقت أو غير المؤقت وادارة بلادها بواسطة رجال من افرادها ، هو أسلس قيادا وأسهل طريقا ، وأسلم عاقبة وأخف تبعة ، وأفعل في تخدير الشعور ، واطمئنان القلوب ، وصرف العقل عن استنباط الحيل للمقاومة والخروج ، ولهذا تريد أن تسوس فرنسة المغرب الاقصى كما تسوس دابة تونس السلسة المذللة ، لا كما تسوس دابة الجزائر الجموح الصعبة .

لم تدخل أوربة بلادا شرقية أوسع علما ومدنية من مصر ومع هذا ترى ايطاليا ان أحزاب مصر السياسية لا يشكون من الانكليز المتصرفين في كل شيء عشر معشار ما يشكون من الحكام الوطنيين في جميع الاعمال ، فالانكليز يعملون والتبعة والملامة على غيرهم فيما ينتقد ، والعالم كله ينسب اليهم كل ما يستحسن ، ولم يضر مصالحهم اعترافهم بسيادة الدولة العثمانية على البلاد بل هو نافع لهم ، ومضعف للتفور منهم ،

بعد كتابة ما تقدم بشرتنا أنباء الاستانة بان الوزارة قد ابرمت العزم على مقاومة ايطالية وعدم الخنوع لسلم يضيع به شيء من البلاد ، وصلح يذهب به شرف الامة والدولة ، وان مجلس المبعوثين أيد الوزارة بناء على عزمها هذا . فحمدنا الله تعالى أن حقق رجاءنا في دولتنا وحكومتنا ، وخيب ظنون الدولة الباغية علينا ، وسوف على الباغي تدور الدوائر

وهنا نصرح لحكومتنا العلية بما وصل اليه علمنا واختبارنا وهو أن بيع طرابلس لايطالية المهينة لنا ، التي عجزت عن حرب الحبشة من قبلنا ، يعد بمثابة انتحار الدولة (حماها الله تعالى) سواء كان استيلاء هذه الباغية على طرابلس باسم الاحتلال أو

باسم آخر ، نعم إنه انتحار لانه يسقط قيمة الدولة ونفوذها وقيمتها الدينية والسياسية من نفوس رعيتها ومن نفوس جميع المسلمين ، بل يخشى أن تكون عاقبته شرا من ذلك ، أذل الله الدولة ووفقها لما فيه قوتها وشرفها دائمين ما دامت السموات والارض . في آخر شوال سنة ١٣٢٩ (للمقالات بقية)

منشورات ايطالية الخداعية

﴿ في طرابلس الغرب ﴾

وزعت إيطالية في طرابلس الغرب بعد احتلالها عدة منشورات تخادع بها العرب هناك ، ومنها ما ألقي من الطيارات والمناطيد في المعسكرات. وهم يظنون انهم يخاطبون أطفالا يصدقون كل ما يسمعون ، ونحن ننشر أهم هذه المنشورات لاجل الاعتبار بها في الحال والاستقبال

﴿ منشور قائد جيش الاحتلال الايطالي ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(والصلاة والسلام على كافة الانبياء المرسلين صلى الله عليهم وسلم أجمعين)

بأمر ملك ايطاليا المعظم فكتور عمنويل الثالث نصره الله وزاد مجده

أنا الجنرال كارلوس كانيفا قائد العساكر الايطالية الموكل اليها محو الحكومة التركية في طرابلس وبرقة والمقاطعات التابعة لها فبناء أعلن الشعوب جميعهم الناطقين في المقاطعات المتوه عنها من شاطىء البحر الى آخر الحدود الداخلية الذين يسكنون بيوتا في المدن وبساتين وحقولا ومراعي حول المدن نفسها أو بعيداً عنها ما يلي

ان العساكر الخاضعة لامري لم يرسلها جلالة ملك ايطاليا حماه الله لاضطهاد واستعباد سكان طرابلس وبرقه والغزات والبلاد الاخرى التابعة لها التي توجد الان تحت سيادة الاتراك بل لتعيد اليهم حقوقهم وتنقص من المعتدين عليهم وتجعلهم أحرارا